

اللوبي الإسرائيلي داخل أميركا: الجدل ينتفض!

AIPAC

محمد منصور*

نشرت مجلة London Review Of Books في ٢٦/٣/٢٠٠٦ نسخة مختصرة لدراسة أعدّها جون ميرشايمر John Mearsheimer (مدير كلية العلوم السياسية في جامعة شيكاغو) وستيفن والت Stephan Walt (عميد الشؤون الأكاديمية في كلية جون. أف. كينيدي للدراسات الحكومية في جامعة هارفارد) بعنوان: «لوبي إسرائيل وسياسة الولايات المتحدة الخارجية». تقع الدراسة (التي نشرت كاملة على موقع هارفرد الإلكتروني) في ٨٢ صفحة، منها ٣٩ صفحة للملاحظات الذيلية وتثبيت المراجع (٢١١ ملاحظة، يُذكر فيها حوالي ٣٠٠٠ مقالة صحفية وكتاب ودراسة أكاديمية وحكومية مستمدة في معظمها من الصحافة الأميركية المؤيدة بغالبيتها لإسرائيل، ومن مؤسسات الفكر والإعلام اليهودي الأميركي، والكثير من صحافة إسرائيل ومسؤوليها، ومن مصادر لوبي إسرائيل نفسه).

تتلخص مقولة الدراسة الأساسية في أن لوبي إسرائيل يتحكم بسياسة الولايات المتحدة الخارجية ويحوّلها إلى سياسة تدعم مصالح إسرائيل أولاً، بل إلى الدرجة التي أضحت معه منذ العام ١٩٦٧ مُضرةً بمصالح الولايات المتحدة ذاتها. وتدعو إلى فتح باب النقاش في هذا الموضوع، التي تؤكد الدراسة أن اللوبي مصمّم على إبقائه موصداً، موظفاً في سبيل ذلك كل وسائل الضغط على الكونغرس والإعلام والأكاديميا.

في هذا المقال نعرض أولاً ملخصاً لأبرز ما جاء في الدراسة المذكورة. ثم ننتقل في الأقسام اللاحقة إلى الردود الكثيرة التي أثارها في الولايات المتحدة وبريطانيا، مُعرجين بعد ذلك إلى إيجابيات الدراسة وسلبياتها.

❖ - ناشط فلسطيني في مجال حقوق الإنسان ومناصرة القضية الفلسطينية في الولايات المتحدة. يقيم بين لبنان وبوسطن

I - الدراسة: تلخيص لأهم نقاطها

تبدأ الدراسة بطرح السؤال التالي: لماذا تقبل الولايات المتحدة بأن تتنازل عن أمنها (أو تنحيه جانباً) لتخدم مصالح دولة أخرى؟ لكن الدراسة، قبل أن تجيب عن هذا السؤال، تستعرض حجم الدعم الأميركي لإسرائيل منذ العام ١٩٧٣ معتمدة على سجلات حكومية أميركية متداولة (غير سرية)، وتوردها كالتالي:

- بلغت المساعدات المباشرة منذ ذلك العام (معدلة لتأخذ في الحسبان مستويات التضخم حتى العام ٢٠٠٣) ١٤٠ مليار دولار، أو حُسن مجموع مساعدات أميركا الخارجية، أي ما يعادل ٥٠٠ دولار لكل مواطن إسرائيلي سنوياً.

- تقدم الولايات المتحدة معاملة خاصة إلى إسرائيل تسمح لها بتسلم معونتها المالية كاملة في بداية العام المالي لتستفيد من الفوائد المتركمة عليها خلاله كما تسمح لها بأن تصرف ٢٥٪ من معونتها العسكرية لتطوير صناعاتها الحربية وهذا كله على خلاف الدول الأخرى المتلقية للمساعدات الأميركية؛ فهذه الدول تتسلم حصتها على أربع دفعات خلال السنة، كما تُلزم بصرف كافة مساعداتها العسكرية لشراء أسلحة أميركية الصنع حصراً.

- مَوَّلت الولايات المتحدة بقيمة ثلاثة مليارات دولار مشروع تطوير طائرة ليفي الإسرائيلية وأتاحت لإسرائيل ميزة الحصول على أحدث التقنيات والمعدات الأميركية، مثل طائرات F16 وهليكوبترات Blackhawk.

- دَعمت الديبلوماسية الأميركية إسرائيل دعماً مطلقاً. فاستخدمت مثلاً حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن ٢٢ مرة منذ ١٩٨٢ لحماية إسرائيل - وهذا أكثر من المرات التي استعمل فيه الفيتو من قبل كافة الأعضاء الدائمين الآخرين مجتمعين! كما تحمي أميركا إسرائيل من المساءلة بشأن سلاحها النووي

- قَدَّمت الولايات المتحدة لإسرائيل دعماً سياسياً غير محدود، في مفاوضات اتفاقيات فك الارتباط (١٩٧٣ - ١٩٧٤) بعهد حرب أكتوبر، وفي كامب دايفيد (١٩٧٨ - ١٩٧٩)، وأوسلو (١٩٩٣). وتُسْتَشهد الدراسة بديبلوماسية أميركي سابق علَّق على مفاوضات كامب دايفيد عام ٢٠٠٠ بالقول: «غالباً ما كنَّا نَعْمَل وكأئننا محامون عن إسرائيل!»

- قامت الولايات المتحدة بشن حروب من أجل إسرائيل، كال حرب على العراق سنة ٢٠٠٣

ثم تتصدى الدراسة لأهم مقولات لوبي إسرائيل، وهي ١ - أن إسرائيل تشكّل وديعة أميركية إستراتيجية ٢ - أن الدعم الأميركي لإسرائيل يقوم على أسس أخلاقية. ٣ - أن إسرائيل دولة صغيرة مطوقة بأعداء يسعون إلى تدميرها ٤ - أن إسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة ٥ - أن إسرائيل تحتاج إلى التأييد المطلق لأن اليهود عانوا الاضطهاد

عبر التاريخ، وخصوصاً إبّان المحرقة النازية. ٦ - أن تصرفات إسرائيل، مهما بلغت، تبقى أخلاقياً أرقى من تصرفات أعدائها.

ثم تسعى الدراسة إلى دحض هذه الحجج:

- لم تعد لإسرائيل القيمة التي كانت لها إبّان الحرب الباردة حين ساهمت في احتواء المد الشيوعي وهزمت حلفاء الاتحاد السوفياتي (سوريا ومصر سنة ١٩٦٧) ووقّرت معلومات استخباراتية عن الاتحاد السوفياتي، بالرغم من الكلفة الباهظة لهذه الخدمات (حظر النفط العربي عام ١٩٧٣ مثلاً). وللتدليل على العبء الاستراتيجي الذي تشكّله إسرائيل بعد انهيار الكتلة الشيوعية، تذكر الدراسة بدور إسرائيل السلبي خلال حرب العراق الأولى ١٩٩٠ - ١٩٩١.

- تعترض الدراسة على تصنيف إسرائيل حليفاً في الحرب على الإرهاب، بل تذهب إلى القول إن إسرائيل هي أحد أسباب العداء لأميركا - الذي بدوره يؤدّ الإرهاب.

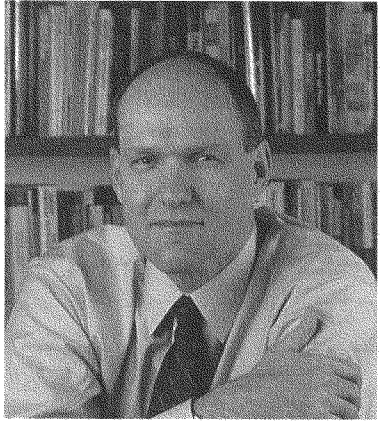
- أما عن خطر أنظمة غير ديمقراطية تسعى إلى تطوير أسلحة دمار شامل، فإن إسرائيل بحسب الدراسة هي حافز لهذه الدول للحصول على الأسلحة لأنها (أي إسرائيل) تمتلكها وتهدد بها أصلاً.

- ترفض الدراسة ادعاء إسرائيل بأنها حليف مخلص لأميركا، وتعدد حالات التجسس الإسرائيلية ضد أميركا والأذى الذي ألحقته بمصالح أميركا

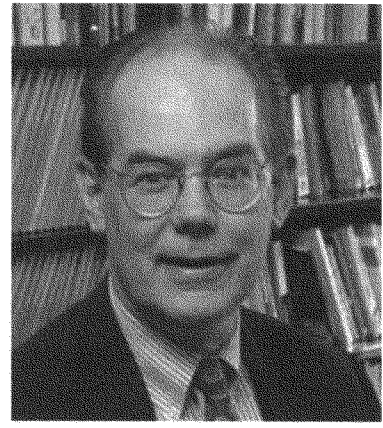
- بعد أن تُقرّ الدراسة بحق إسرائيل الأخلاقي في الوجود، تُرفض تبرير استمرار الدعم الأميركي بمستواه الحالي مشيرة إلى أن وجود دولة إسرائيل لم يكن يوماً في خطر. وتُسْتَشهد الدراسة بمركز جافي للدراسات الإستراتيجية الذي استنتج في العام ٢٠٠٥ «أن إسرائيل متفوّقة استراتيجياً على جميع جيرانها.»

- أما عن ديموقراطية إسرائيل ومشاركتها القيم الديمقراطية للولايات المتحدة، فتقول الدراسة إن ذلك لا يكفي لتبرير الدعم الأميركي. ذلك أن أميركا لا تدعم الكثير من ديموقراطيات العالم، بل وتطيح ببعضها (إيران ١٩٥٣، وتشيلي ١٩٧٣) وتنصّب مكانها ديكتاتوريات. ثم إن ديموقراطية الولايات المتحدة الليبرالية لا تُشبه في شيء «الديموقراطية الإسرائيلية» التي تقوم على تعريف مواطنيها ب «نقاوة الدم اليهودي» مستثنية بذلك ١,٣ مليون مواطن فلسطيني من حقوق المواطنة الكاملة

- تقرّر الدراسة أن حق إسرائيل الأخلاقي في الوجود لا يُغفيها من مسؤوليتها الأخلاقية عن الجرائم المرتكبة بحق الفلسطينيين منذ ١٩٤٨ ومن ثم فإن ادعاء إسرائيل ومؤيديها أن تصرفات إسرائيل تبقى أكثر أخلاقية من كل أعدائها هو محض خرافة ثم تعدد الدراسة جرائم إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨، مروراً بتصفية مئات الأسرى المصريين عام ١٩٥٦، وصولاً إلى سياسة تحطيم عظام الفتيان الفلسطينيين خلال الانتفاضة الأولى وإطلاق مليون رصاصة على فلسطينيين عُزل في الأيام



جون ميرشايمر وستيفان والت:
حروب أميركا على العراق وسوريا
وإيران حروب إسرائيلية في الأساس



ثم تتوسّع الدراسة في الحديث عن تأثير اللوبي المذكور في السياسة الأميركية الخارجية ومن بين الأمثلة التي تُسرّدها: نجاحه في دفع بوش إلى التراجع عن ضغطه على إسرائيل للانسحاب من المناطق الفلسطينية التي أعادت إسرائيل احتلالها في نيسان ٢٠٠٢؛ فبعد أسبوع واحد من مواجهة اللوبي لبوش في الكونغرس والإعلام، بدأ الرئيس الأميركي يتراجع، بل صرّح بأن «شارون رجل سلام» وبعد ذلك بأيام، منّح الكونغرس ٢٠٠ مليون دولار إضافية لإسرائيل لمحاربة الإرهاب. وتعلّق الدراسة بالقول إن اللوبي لا إسرائيل هو من ربح المعركة، وتذكّر بما قاله برنت سكوكرفت (مستشار أمن قومي سابق) عام ٢٠٠٤: «إن بوش رهن إشارة خنصر شارون!»

كما تؤكد الدراسة في هذا الصدد أنّ حرب أميركا على العراق تُهدف، هي نفسها، في الدرجة الأولى إلى تقوية وضع إسرائيل. وتشير إلى عدّة أدلّة، منها تصريحات لمعظم قياديين إسرائيل تدعو إلى إسقاط صدام حسين؛ ومنها أنّ معظم مهندسي الحرب هم من مؤيدي إسرائيل، رغم أنّ أغلبية الجالية اليهودية لم تؤيّد الحرب

أما مشروع «الشرق الأوسط الكبير» ذاته، فتري الدراسة أنّه إسرائيلي من الأساس، وتعود بجذوره إلى نظرية «الاحتواء المزدوج» في عهد كلينتون، وإلى صاحبها مارتين أنديك - المؤيّد المخلص لإسرائيل. هذه الفلسفة أدت إلى فرض عقوبات اقتصادية على إيران عام ١٩٩٠، وتطوّرت فأنتجت تشريعاً من الكونغرس عام ١٩٩٦ بفرض عقوبات على الشركات الأميركية التي توظّف أكثر من ٤٠٠ مليون دولار في كلّ من ليبيا وإيران. ومع نهاية التسعينيات قرّر لوبي إسرائيل أنّ سياسة «الاحتواء المزدوج» لم تعد كافية، فأضحى تغيير نظام صدام حسين ضرورة أساسية لتغيير المنطقة بأكملها. وتعزو الدراسة هذه التغييرات في سياسات أميركا الخارجية إلى مجموعة من المحافظين الجدد، وإلى مفكرين وصحفيين جُلبهم مؤيّد لإسرائيل.

أما بالنسبة إلى سوريا، فتُرصّد الدراسة عدداً من تصريحات قادة إسرائيل (شارون، موفاز، ...) غداة سقوط بغداد يدعون فيها إلى فرض «ضغوط قوية» على سوريا. وتُرصّد تصريحات

الأولى فقط من الانتفاضة الثانية. وأخيراً تذكّر الدراسة بتاريخ إسرائيل الإرهابي، بما في ذلك اغتيال وسيط الأمم المتحدة الكونت فولك برنادوت عام ١٩٤٨، لتستنتج أنّ لا أساس أخلاقياً يُمكنه تبرير مستوى الدعم الأميركي الحالي لإسرائيل. إذن، كيف نبرّر هذا الدعم؟ هنا تُرسم الدراسة صورة واضحة عن لوبي إسرائيل: فهو شبكة من المنظمات الأهلية اليهودية يتمتّع أعضاؤها بدرجة عالية من الالتزام بقضية إسرائيل التي يشكّل «وجودها قوية أمانة» القاسم المشترك لها، ويطرجمون هذا الالتزام ممارسةً يوميةً (على مستوى التطوُّع، ومساندة المؤسسات الثقافية، والاتصال بوسائل الإعلام، والمشاركة في العملية السياسية مثل الترشّح في الانتخابات المحلية ..).

تقود هذه المؤسسات من واشنطن «مجموعة إيباك»، بالتنسيق مع منظمة رؤساء المنظمات اليهودية الأميركية الكبرى، وبالطبع مع سفارة إسرائيل، بل ومع حكومة إسرائيل مباشرة. ويساند اللوبي الإسرائيلي تياراً مسيحيانين المؤمنين بانبعث إسرائيل وتجميع اليهود في فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر؛ وتياراً المحافظين الجدد المأخوذون بقوة إسرائيل والمؤمنين بجذوى القوة المجردة ضدّ كلّ من لا يُشبههم.

وتعزو الدراسة نجاح اللوبي إلى استراتيجيتين فعالتين: الأولى تتمثّل في الضغط على أعضاء الكونغرس والحكومة عن طريق التبرُّع والتصويت وإقناع المسؤولين بأنّ تأييد إسرائيل يعود عليهم بالفائدة، خصوصاً لجهة إعادة إنتخابهم وتمويل حملاتهم. والثانية عبر التأثير في الإعلام الذي يكرّر، بغالبية العظمى، خطاب إسرائيل بلا تحفّظ. وكأمثلة على نجاح الإستراتيجية الأولى تكتفي الدراسة بالتذكير بمصير السيناتور تشارلز بيرسي الذي دعا إلى الحوار مع منظمة التحرير، فأعلنت «إيباك» الحرب عليه متوعدّة بإسقاطه في أول انتخابات يخوضها - وهو ما حصل عام ١٩٨٤ حين خسر بيرسي مقعده عن ولاية إيلينوي أمام مرشّح مغمور ولكن مدعوم من لوبي إسرائيل. وتذكّر الدراسة بأنّ شارون خلال إحدى زيارته لواشنطن قال: «حين يسألني الناس كيف يُمكن أن يساعدوا إسرائيل، أقول لهم: ساعدوا إيباك!»

II - ردود الأفعال على الدراسة

أثارت الدراسة زوبعةً من ردود الفعل المؤيدة والمعارضة، امتدّت من عالم الأكاديميا الذي وصل به الاهتمام بالقضية إلى حدّ إجراء مسح استطلاعيّ للمختصّين بشؤون الشرق الأوسط للوقوف على آرائهم في الدراسة،^(١) لتُبلّغ قاعات الكونغرس الأميركي التي ارتفعت فيها أصوات تطالب بالتحقيق في ما أوردته الدراسة من اتهامات بارتهاقه إلى لوبي إسرائيل. كما تناولت الدراسة كافة وسائل الإعلام الأميركية. ولم يقتصر الأمر على الصحافة الأميركية بل تخطّتها ليضمّن الصحف الأوروبية، وخاصة البريطانية حيث نُشرت الدراسة أولّ الأمر؛ وليضمّن كذلك صحافة إسرائيل، فضلاً عن اهتمام شعبي في الكيان المذكور بلغّ المئات من التعليقات على موقع صحيفة هارتس مثلاً.

أ - في الإعلام الأميركي. تميّزت التغطية الإعلامية الأميركية للدراسة بالهجوم الشرس عليها، وعلى مؤلّفيها، وعلى جامعة هارفرد حيث يعمل ستيفن والت. ف لوس انجلوس تايمز (ومن بعدها فيلادلفيا إنكوايرر) نشرتا مقالة لماكس بوت (Max Boot)، عضو «مجلس الشؤون الخارجية»، يصف فيها الدراسة بأنّها «غير مهذّبة ومعادية للسامية» وفي اليوم نفسه ظهرت في بوسطن هيرالد مقالة بعنوان «رهاب معاداة السامية في هارفرد». وفي صحيفة واشنطن نيوست، المتّزنة عادةً، كتب إليوت كوهن (Eliot Cohen)، أستاذ الدراسات الدولية المتقدّمة في جامعة جونز هوبكنز، مقالة بعنوان «نعم، إنّها معاداة السامية» يفتتحها كالتالي: «قلّما تجتذب الدراسات الأكاديمية المديح من العنصريين المؤمنين بتفوق العرق الأبيض. لكنّ دراسة لوبي إسرائيل فازت بتبني ديفيد ديوك (David Duke) الذي اعتبرها تصديقاً لأعماله ومنها، افتراضاً، كتابه: «عنصرية التفوق اليهودية»^(٢)

أما وول ستريت جورنل الأشدّ تأييداً لإسرائيل فاخترت أن تخلط الدراسة المذكورة بقضية محاكمة تجري هذا الشهر لموظفين سابقين في إيباك بتهمة التجسس على وزارة الدفاع الأميركية، وكانّ المقصود تشكيك القارئ بنفوذ لوبي إسرائيل المطلق الذي تؤكّده الدراسة ثم تقرّر الصحيفة أنّ ما قام به موظفو إيباك لا يختلف عن عمل أيّ لوبي آخر وترصد مصادر تقول «إنّ هناك تحوّلاً في الكونغرس من أن تكون وزارة العدل الأميركية تقوم باستهداف مجموعات الضغط التي تعمل لصالح إسرائيل»

نيويورك تايمز تجاهلت الموضوع كلياً طوال أسبوعين، وحين قرّرت تغطيته تناولته على صفحات «قسم التعليم» مدفوناً في

أيضاً لمحافظين أميركيين جدد مثل بول وولفويتز («يجب تغيير النظام السوري») وريتشارد بيرل («بإمكاننا أن نبعث رسالةً من كلمتين [إلى الأنظمة المعادية في الشرق الأوسط]: دوركم قائم!»)، وصولاً إلى سنّ الكونغرس «قانون محاسبة سوريا» المعروف. وتورد الدراسة عدّة مقالات وتحاليل من مصادر مؤيِّدة لإسرائيل تدعو الإدارة الأميركية إلى «إكمال المهمة»، وأنّ «إسقاط صدام ليس كافياً»، وأنّ «تحرير العراق أول معركة كبرى من أجل مستقبل الشرق الأوسط»

وتنتقل الدراسة إلى إيران، فتذكر سعي اللوبي إلى إقناع الكونغرس باستصدار قانون «دعم الحرية في إيران» لتوسيع نطاق العقوبات الحالية. وتستنّج أنّ الولايات المتحدة الأميركية تستطيع التعايش مع إيران نووية، كما تفعل مع العديد من القوى النووية الأخرى، ولكنّ إسرائيل هي التي لا تستطيع ذلك.

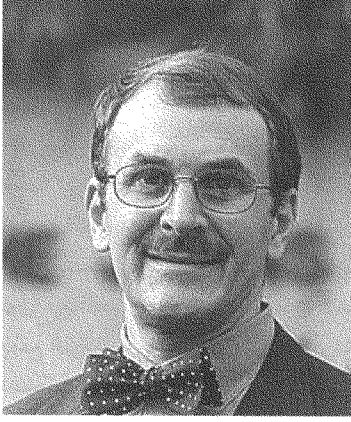
وختاماً تتساءل الدراسة: هل يُمكن الحدّ من نفوذ لوبي إسرائيل؟ وتجيب بأنّ ورطة أميركا في العراق تمثّل حافزاً لأميركا لكي تعيد تجميل صورتها في العالمين العربي والإسلامي. كما أنّ عوامل أخرى عديدة تساعد على توجيه كهدا، منها تورط اللوبي الإسرائيلي مؤخراً بالتجسس على أميركا، وموت ياسر عرفات... وكلّها عوامل يجب أن تدفع أميركا إلى رسم سياستها لتخدم مصالحها أولاً، بعيداً عن أجندة إسرائيل ولوبيها، ومن أجل تحقيق «سلام عادل» للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني الذي يساعد على إنهاء «التطرف» ونشر الديمقراطية في المنطقة.

لكنّ تستدرك الدراسة أنّ شيئاً من هذا القبيل لن يحصل قريباً لأنّ اللوبي وحلفاءه المسيحيين الصهاينة لا يواجهون أيّة معارضة جدية، ولأنّ سياسي أميركا هم في قبضة التبرعات المالية اليهودية، ولأنّ الإعلام ما يزال متعاطفاً مع إسرائيل في كلّ ما تفعل. وهذا الوضع مقلق جداً في رأي المؤلفين، لأنّ تأثير اللوبي يساعد على زيادة «خطر الإرهاب» على أميركا وحلفائها الأوروبيين، ويمنع حلّ القضية الفلسطينية، ويقوّي العداء الإسلامي لأميركا. كما أنّ استعداد سوريا وإيران يحرم الولايات المتحدة من مساعدتهما لها في «الحرب على الإرهاب» ثمّ إنّ هذا الوضع يُضرب بسمعة أميركا ويعرقل مساعيها لنشر الديمقراطية. بل إنّ استمرار اللوبي في خنق النقاش حول هذه القضايا يُضعف الديمقراطية الأميركية نفسها. وأخيراً، فإنّ تأثير اللوبي مضرّ بإسرائيل أيضاً لأنّه يمنعها من استغلال فرص قيّمة لإحلال السلام، ومن حماية أرواح مواطنيها أنفسهم.

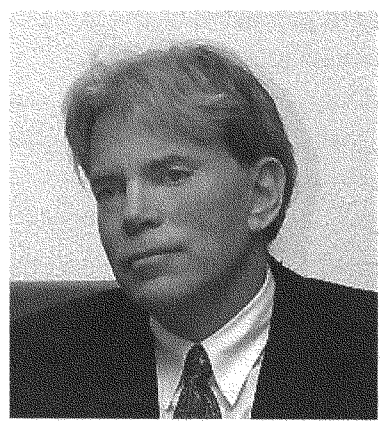
١ - أظهر استطلاع للرأي أجراه The Middle East Academic Survey Research Exposition Measure بتاريخ ٢٠٠٦/٤/٥، وشارك فيه ٢٢٠٠

أكاديمي في مجال دراسات الشرق الأوسط، أنّ ٤٩٪ رأوا أنّ المجتمع الأكاديمي عدائي للدراسات التي تنتقد إسرائيل راجع www.irmep.org

٢ - ديفيد ديوك ناشط في كر كلّس كلان KKK العنصرية، وعضو كونغرس ولاية لويزيانا سابقاً وهو معروف بدفاعه عن نقاوة العرق الآري، وعدائه لكل من ليس أبيض ومسيحياً



اتَّهَمَ إليوت كوهنُ دراسة «لوبي
إسرائيلي». «بأنَّها معاديةٌ للسامية،
مثل كتاب ديفيد ديوك عنصرية
التفوق اليهودية.



ومؤلَّفِيها ترُصد فيه الظُروفُ التي واكبتُ إعدادَها ونشرَها
والتغطيةُ الإعلاميةُ لها، دون أن تتَّخذ موقفاً مؤيِّداً أو معارضاً
واضحاً. ومن أبرز ما انفرد به هذا التحليل نقلُه على لسان
بيرنارد ستاينبرغ (Bernard Steinberg)، مدير مركز هيلال
(Hillel) نادي الطلبة اليهود في هارفرد، «أنَّ تأثير الدراسة
على إيرادات هارفرد من التبرعات كان زلزالياً،» بمعنى أن
المتبرعين المؤيدين لإسرائيل غير راضين.

ب - في الصحافة البريطانية أبدت الصحافة البريطانية،
إجمالاً، اهتماماً بالزوبعة التي أثارها الدراسة يفوق اهتمامها
بالدراسة نفسها. وقد تناولت القضية فترةً أطول مما فعلت
الصحافة الأميركية، ومن زوايا مختلفة ومتعددة. ولعله يمكن
تفسير ذلك بأن الدراسة نُشرت في مجلة بريطانية أولاً؛
ولعلاقتها بموضوع حرب العراق الوارد فيها، وللدور الخاص
الذي لعبته حكومة بلير في شنِّ هذه الحرب ثانياً

جاءت التغطية البريطانية مشابهةً في جزءٍ منها للتغطية
الأميركية التي (بالإجمال) هاجمت الدراسة ومعدَّتها مستخدمةً
الذرائع والاتهامات نفسها مثل «السطحية» و«التحامل على
إسرائيل بدوافع الكراهية والعداء للسامية»، وغيرها. ولا غرابة
في ذلك، إذ تعود ملكية بعض هذه الصحف مثل التايمز
وتابلويداتٍ عدَّةٍ إلى روبرت مورديخ (Rupert Murdoch) -
الناشر الصهيوني المعروف لكنَّ بسبب تميُّز صحافة بريطانيا
عن مثيلتها الأميركية بوجود صحفٍ أكثرَ جديةً وموضوعيةً مثل
الغارديان والفائنيشنال تايمز، فقد حظيت الدراسةُ بقدرٍ جيدٍ
من التغطية الحيادية والمتزنة.

الفائنيشنال تايمز افتتحت عددها الصادر في الأول من نيسان
(أبريل) بالقول «الابتزاز الأخلاقي - الخوف من أن أيَّ انتقاد
لسياسات إسرائيل وللدعم الأميركي لها سيُجلب الاتهام بالعداء
للسامية - هو حافزٌ قويٌّ على عدم نشر انتقادات كهذه، وهو ما
يؤدي إلى خنق أيِّ نقاش للموضوع في جامعات أميركا.». «
وتابعت «إنَّ الحافز اللاشعوري للدفاع عن مبدأ المناظرة
المفتوحة والتساؤل الحرَّ يختفي على الأقلَّ عند معظم النَّخب
السياسية الأميركية عندما يكون الموضوع سياسة الولايات

الصفحة ١٩. ولاحقاً نُشرت افتتاحيةً طويلةً للمؤرِّخ طوني جُدتْ
(Tony Judt) يقول فيه: «إنَّ الصحافة، وبدافع الخوف، فشلتُ
في مواجهة أفكار هامةٍ تُطرحها الدراسة.»

الصحف الأخرى الأقلُّ أثرًا مثل واشنطن تايمز ونيويورك
صنَّ كانت أقلَّ تهذيلاً، فأضافتُ إلى وصف الدراسة «بالعداء
للسامية» تشبيهها إياها بـ «البؤل» و«الأكاذيب» و«مجموعة من
الأفكار الكارهة»، واتَّهمت مؤلَّفِيها بـ «النازيين الجدد» و«الغباء»
و«بأنَّهما قضايا على مستقبلهما المهني.» كما وصفتُ مؤيِّدي
الدراسة بـ «العنصريين والإرهابيين.»

أمَّا الإعلام المرئي والمسموع فلم يكن أكثرَ تعاطفاً مع الدراسة،
إذ ركزت البرامج الإخبارية وخصوصاً التوك شوز على
استضافة ديفيد ديوك العنصري وتقديمه في أحد البرامج على
الشكل التالي: «سيد ديوك، لطالما هُوجمت بسبب نشاطك
العنصري المعادي لليهود وللأسود. اليوم أنت تتفق مع أستاذنا
من جامعة هارفرد في المواقف. فما هو شعورك!؟»

أما المواقف المؤيدة للدراسة، فبالرغم من كثرتها وتنوع مصادرها
إلا أنَّها لم تلق مساحاً كافيةً في الإعلام السائد بل ظهرت في
مطبوعات مغمورة وعلى الإنترنت بكثرة: (مثل: truthout
وalternet وcounterpunch.com وantiwar.com). ومن بين
المطبوعات المحدودة الانتشار والتابعة لمعهد دراسات، نقل
«معهد الدراسات العربية الأميركية» (AAI) عن العقيد لورنس
ويلكرسن (Lawrence Wilkerson)، وهو مساعدُ كولن باول
وزير خارجية أميركا السابق، قوله إنَّ الدراسة «وجَّهت إضاءاتٍ
على أفكار سباطة الوضوح نتداولها همساً في الزوايا، لا
بصوتٍ جهيرٍ في السهرات العامة خوفاً من أن يسمعها أحد»

وتعلَّق فيليس بنيس (Phyllis Bennis)، الباحثة في «معهد
دراسات السياسة»، بقولها: «لقد كان من المعروف أن الموضوع
[لوبي إسرائيل] لن يناقش جدياً إذا لم يتناوله أحدٌ من جامعة
مثل هارفرد»

وأما المجلة اليسارية الأكثر انتشاراً ذا نيشن (The Nation)
فكتبت في ١٥/٥/٢٠٠٦ تحليلاً موضوعياً عن الدراسة

المتحدة تجاه إسرائيل، وبالأخص دور لوبي إسرائيل في رسم سياسة أميركا الخارجية...»

روبرت فيسك (Robert Fisk) كتب في الغارديان مقالة عن الدراسة ضمّتها وصفه للقاء في هارفرد مع ستيفن والت يقول فيها إن المؤلفين قد «سبّوا أكبر عاصفة سياسية في تاريخ أميركا الحديث حين صرّحا - بما يُعتبر خارج الولايات المتحدة من المسلمات - بأن الولايات المتحدة تضع مصالح إسرائيل فوق مصالحها ومصالح الكثير من حلفائها، وأن لوبي إسرائيل يُمنع الكونغرس الأميركي من مجرد مناقشة الموضوع...» كما تضمّنت المقالة تساؤلاً للصحفي الأميركي فيليب وايس: «لماذا يحق لأوروبا وإسرائيل نفسها أن تُجرى نقاشاً حرّاً حول حقوق الفلسطينيين الإنسانية، ولا يحقّ لنا نحن ذلك في الولايات المتحدة؟»

III - الدراسة: مؤلفاها وتوقيتها

قبل الخوض في نقاش الدراسة لا بدّ من استكشاف مؤلّفيها، وحيثيات إعدادها ونشرها، وما ألت إليه من نتائج بالنسبة إلى ذئك المؤلفين وإلى الجدل حول سياسة الولايات المتحدة الخارجية وعلاقتها بإسرائيل.

جون ميرشايمر هو أستاذ جامعي ومفكّر وكاتب في مجال السياسة الخارجية، وله وزن مهم في مدرسة «الواقعية» للتعامل بين الدول من خلال كتبه وموقعه في جامعة شيكاغو. أمضى عشر سنوات في عداد القوات المسلحة الأميركية، وتخرّج من كلية وست بوينت العسكرية حتى التسعينيات كان من أخصّص المدافعين عن إسرائيل لما رأى فيها من حليف في الحرب الباردة وشريك ديموقراطي، وأيدها «بدافع أخلاقي». يقول أحد معارفه إن فهمه للصراع الإسرائيلي - الفلسطيني «كان متأثراً برواية ليون يوريس الخروج (Exodus) عن معاناة اليهود وتوقّهم إلى إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين. ولكن بدأ فهمه بالتغيّر مع صعود موجة المؤرّخين الإسرائيليين الجدد (بني موريس، آفي شلايم، وطوم سيغيف)، وبعد قراءته كتبهم التي تدحض ادّعاء اليهود أنّهم ضحية حرب ١٩٤٨.»

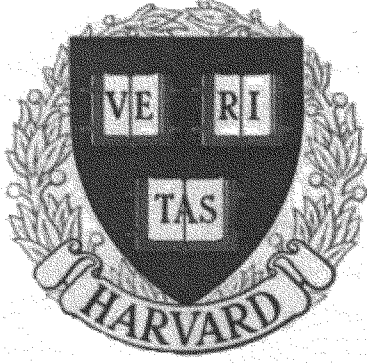
ستيفن والت هو الآخر ينحدر من النخبة، وقد عرّج على جامعات نخوية مثل ستانفورد وبيركلي وپرنستن قبل الوصول إلى هارفرد.

المؤلّفان، إذًا، لا يتّيان إلى هذا النقاش من خلفية إيديولوجية يسارية معادية لسياسة أميركا الإمبريالية، ولا من خلفية معادية لإسرائيل أو متعاطفة مع قضية فلسطين، بل يتّيان من قلب المؤسسة النخبوية الحاكمة. وإنّ دراستهما والآراء البارزة فيها تأتي في سياق النزاع الفكري الذي شهدته إدارة بوش بين

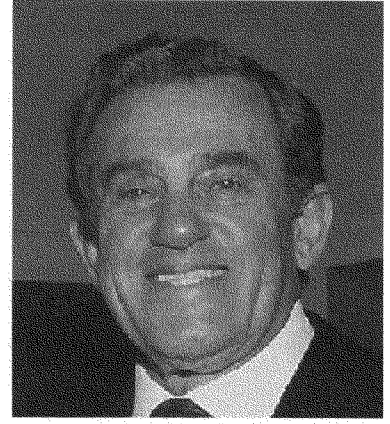
طرفين: أ) مدرسة «الواقعية» بزعامة كولن پاول ووزارة الخارجية ووكالة الـ CIA المؤمّنتين باستعمال القوة الصاعقة في نطاق معارك محدّدة لخدمة هدف إستراتيجي واضح ثم الخروج المخطّط له مسبقاً كما حصل في حرب «تحرير الكويت». ب) مدرسة المحافظين الجدد المعجّبين بسياسات إسرائيل الحربية المفتوحة ومختبري نظرية «الفوضى الإيجابية» مثل حرب العراق الحالية. والمعوم أنّ النزاع حُسم لصالح المدرسة الثانية منذ اندلاع الحرب الأخيرة عام ٢٠٠٣.

أمّا عن توقيت نشر هذه الدراسة والاهتمام التي حظيت، به فإنّ لذلك علاقة مباشرة بالصعوبات التي تواجهها إدارة بوش في العراق حالياً. فكان أنصار «مدرسة الواقعية» (التي أدارت سياسة أميركا الخازجية مئة عام) أرادت إعادة فتح باب التصارع الفكري الذي اضطرّت إلى قبول الهزيمة فيه حين فشلت في إيقاف مسيرة الحرب على العراق. وفي هذا الصدد يقول ستيفن والت في مقابلة مع تلفزيون بيركلي في خريف ٢٠٠٥: «إنّ هذه [أي قضية لوبي إسرائيل] بالنسبة إليّ قضية تمسّ أمننا القومي، ويجب أن نكون قادرين على تداولها بحرية، لا الاستماع إلى صوت واحد فقط». كما كتب في كتابه ترويض القوة الأميركية أنّ السياسة الأميركية تجاه الفلسطينيين تغذي الإرهاب. أما ميرشايمر «فقد تأثر بقوة اللوبي خلال مواجهة بوش لشارون في أوائل ٢٠٠٢ عندما طلب بوش انسحاباً فورياً لإسرائيل من مناطق للسلطة الفلسطينية أعادت احتلالها، فرفض شارون، وتراجع بوش واصفاً شارون وقتها برجل سلام. عندها راح ميرشايمر يتدّمّر إلى أحد أصدقائه من أنّ أحداً لا يستطيع أن ينشر أيّ نقد لقوة اللوبي في أميركا.»^(١) هكذا وكُدت فكرة الدراسة، إذ أخبره ذلك الصديق بأنّ مجلة **The Atlantic** تبحث عن دراسة تتناول المصالح المشتركة للولايات المتحدة وإسرائيل، فطلبت المجلة إلى ميرشايمر العمل على هذا الموضوع في أواخر ٢٠٠٢. ويقول ميرشايمر إنّه أحضر معه والت «لأنّي لا يمكن أن أقوم بعمل كهذا وحدي. إنّ المرء يحتاج إلى شخصيتين بارزتين لتحمل عاصفة النار التي ستولدها الدراسة... لقد كنّا نفهم الثمن الباهظ المتوجّب علينا دفعه. كالنا أدرك قبل الشروع في كتابة الدراسة أنّ فرص حصولنا على وظائف إدارية عالية في الأكاديمية أو مراكز صنع القرار في واشنطن سوف تدمّر»

بعد أن تسلّمت الاطلنطي الدراسة عام ٢٠٠٤ طلبت إعادة كتابتها. وفي أوائل ٢٠٠٥ رفضت النسخة الجديدة دون إعطاء الأسباب، وهو ما يفسّره ميرشايمر بأنّ المجلة أرادت دراسة تحليلية من دون آراء قوية فزادت قناعته باستحالة نشرها في الولايات المتحدة إلى أن تلقّفت مجلة لندن لمراجعة الكتب (LRB) الدراسة ونشرتها في ٢٦/٣/٢٠٠٦.



اتصل روبرت بالفرد بجامعة هارفرد، وهو متبرع لها بمبلغ ٧,٥ مليون دولار لتأسيس كرسي يتبناه والت، وطلب منها عدم السماح له باستعمال اسمه لترويج دراسته.



V - سلبيات الدراسة

يبدو جلياً من حجم التغطية الإعلامية، وما حلّ بأحد معدّي الدراسة، أنّ مقولتها الأولى عن جبروت لوبي إسرائيل صحيح تماماً. فحتى الردود المهاجمة للدراسة لم تتجرأ على الاعتراض على توصيف اللوبي بالقوي والمؤثر، لذا اختبأت وراء الشتائم والتشكيك بالدوافع لا بالوقائع والأرقام - فالكل يعلم أنّ هذه الأخيرة موثقة تماماً في الدراسة. وإن كان من عيب في الدراسة فهو أنّها لم تتوسّع في تحليل أسباب النفوذ والتأثير البالغين للوبي بما يتجاوز «إيباك» والإعلام المؤيد لإسرائيل - وهذا ما قد يعوق مواجهة اللوبي، ذلك أنّ صناعة الرأي تعدّدت افتتاحيات الصحف الكبرى. (وإذا كان لي أن أتحدث من خبرتي الشخصية كناشط عربي في الولايات المتحدة طوال أعوام، فإنني أقول إنّ النشاطية العالية لأبناء الجالية اليهودية في أميركا تلعب دوراً قد يكون أهم بكثير من أي نشاط ينطلق من العاصمة واشنطن. ففي مناسبة عرض فيلم فلسطيني في أحد المتاحف الصغيرة في مدينة بوسطن مثلاً، ضُغَطَ أحد أعضاء مجلس إدارة المتحف على بقية الأعضاء ليطالبوا بتشكيل لجنة يكون في عدادها موالون لإسرائيل، لمناقشة الفيلم مع المخرج بعد عرضه. بالطبع لم يتصرّف ذلك الشخص بإعزاز من إيباك، لكنّه تسبّب بإلغاء عرض الفيلم، ومنع إيصال الصوت الفلسطيني إلى قطاع مهم من الرأي العام المثقف وفي الأسبوع الماضي، وفي كلية صغيرة في ضواحي بوسطن، ألغى معرض رسوم لأطفال فلسطينيين بسبب اتصال من أحد المتبرعين للكلية).

ثم إنّ الدراسة لا تتطرق إلى تأثير الرواية التوراتية^(١) في ضمير الأميركي العادي، ولا إلى تقارب الخطاب التاريخي لتأسيس كل من الولايات المتحدة وإسرائيل، ولا إلى المفاهيم المشتركة مثل «أرض الميعاد» (Promised Land) و«القدر المحتوم» (Manifest Destiny) ووقع ذلك كله على المواطن الأميركي البعيد عن تأثيرات اللوبي المباشرة. (في إحدى

IV - جديد الدراسة

لكنّ ما الجديد الذي جاءت به هذه الدراسة؟ وما سبب كل هذا الضجيج؟ في الواقع، لا شيء جديداً في الدراسة. ومزاياها الوحيدة ثلاثة:

أ - أنّها تحمّل توقيع عميد من جامعة هارفرد.

ب - أنّها قالت علانية ما لم يجرؤ على قوله أي سياسي أو أكاديمي من صلب المؤسسة السياسية أو الأكاديمية، مع أنّ الكثيرين منهم يؤمنون بما قاله هذان الأكاديميان الشجاعان. فالدراسة تقول ما يعرفه الكثيرون من أنّ لوبي إسرائيل يحرم أي نقاش علني وحر في الولايات المتحدة حول سياسة هذه الأخيرة في الشرق الأوسط، وأنّ هذه السياسة تجاه إسرائيل تؤذي المصالح الأميركية خصوصاً في العالمين العربي والإسلامي. أما شجاعتهما فمردها إلى معرفتهما المسبقة بأنّ مستقبلهما المهني قد تحلّ حيزاً مجهولاً إنّ لم يكن المنتهي. وها هو والت «يستقيل» من منصبه كعميد في هارفرد، كما يقول في مقابله مع روبرت فيسك، وسيأخذ إجازة مفتوحة، مع أنّ جستن ريموندو كتب على موقع Antiwar.com أنّ والت أجبر على التنحي عن منصبه بعد أن اتصل متبرع كبير بهارفرد يدعى روبرت بالفرد (Robert Belfer) كان قد تبرع عام ١٩٩٧ بمبلغ ٧,٥ مليون دولار لتأسيس الكرسي الذي يتبناه والت في مركز العلوم والعلاقات الدولية في كلية كينيدي للدراسات الحكومية وطلب من هارفرد عدم السماح لوالد باستعمال اسمه للترويج للدراسة - وهذا ما حدّ بهارفرد إلى سحب شعارها من على صفحات الدراسة!

ج - حجّم وقوة الملاحظات الدليلية، وكمية تثبيت المراجع فمن النادر جداً أن يبلغ حجّم الملاحظات والمراجع ما يقارب حجّم الدراسة نفسها، وهو ما يدل على حرص المؤلفين الشديد على توثيق كل ما ورد في الدراسة تحسباً للهجوم. ولافتاً أيضاً حجّم المصادر الإسرائيلية واليهودية الأميركية، وصحافة التيار السائد المؤيدة بغالبيتها لإسرائيل، تحسباً أيضاً للهجوم المضاد.

١ - Anthony Lang, "Almighty Decisions Made One Sunday," Times Higher Education Supplement, April 7, 2006.

المنظرات اقترب مني رجلٌ مُسِنٌ متأثراً بمعاناة الشعب الفلسطيني ليسأل: «إني أتعاطف مع شعبيكم لما يعانيه. لكن ألم يَعِدَ الربُّ بني إسرائيل بفلسطين عندما حرَّره من نير فرعون؟!» وفي ندوة أخرى تسأل أحدُ المواطنين الجنوبيين البسطاء: «لو توجَّبَ على إسرائيل الرحيلُ عن أراضيكم، ألا يعني ذلك أن علينا نحن أن نرحل عن هذه الأرض ونتركها لأبنائها الأصليين من الهنود الحمر؟!»

يدور النقاشُ الجدي حول النقطة المركزية الثانية الواردة في الدراسة، وهي أن إسرائيل واللوبي المؤيد لها يُضِرَّان بالمصالح الأميركية ويُجْبِران الولايات المتحدة على انتهاج سياسات لا تُحَدِّم مصالحها. ويتصدَّر هذه المقارعة كاتبان يعبَّران بجدارة عن وجهتي نظر متعارضتين، وهما ديف بلانكفورت (Jeff Blankfort) وجوزيف مسعد. يتقاطع مع طرح الأول جيمس بيتراس (James Petras)، الناشط في حركة معارضة الحرب؛ ويتقاطع مع طرح الثاني نعوم تشومسكي (Noam Chomsky)، أستاذ اللسانيات في جامعة MIT ومفكِّرٌ مناهضٌ لسياسة أميركا الخارجية.

أ - جوزيف مسعد. هو أستاذُ السياسات العربية المعاصرة في جامعة كولومبيا، وصديقٌ للراحل إدوارد سعيد، ومتقفٌ مناصرٌ لقضية فلسطين^(١). وقد نُشِرَت مقالته «إنها سياسات الولايات المتحدة التي تُلهب العالم العربي: لومٌ لوبي إسرائيل» أسبوعية الأهرام الدولي الناطقة بالإنجليزية في ٢٣ مارس ٢٠٠٦. الجدير ذكره أن مسعد سبق أن تعرَّضَ لحملة إساءة شرسة من أدوات لوبي إسرائيل، وخصوصاً خلال السنوات القليلة الماضية، تسعى إلى طرده من وظيفته باستعمال كافة الأساليب وأرخصها: بدءاً بالضغط من قِبل المتبرعين للجامعة، وصولاً إلى اتهامه بإساءة التعامل مع الطلبة اليهود، وغير ذلك من التهم التي أظهر تحقيقٌ من طرف الجامعة عدمَ صحتها، فاحتفظ بوظيفته، فيما تواصلت الضغوط.

يتصدَّى مسعد في مقالته لفكرة أن لوبي إسرائيل هو المسؤول عن سياسات الولايات المتحدة الشرق أوسطية، وإن كان لا يُنكر نفوذ اللوبي طبعاً. ويتركز رفضُ مسعد لهذه الفكرة على الأمور التالية:

١ - إن مروَّجِي هذه الفكرة من المفكِّرين الأميركيين المحافظين والليبراليين يتبنُّون مقولة «لوبي إسرائيل» بدافع عجزهم عن تغيير مسار سياسات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وهم غالباً ما يصرِّحون بهذا الموقف بعد إنهاء خدمتهم الرسمية. أمَّا الأنظمة العربية الموالية لواشنطن، والكثير من المثقفين العرب، فتحلوا لها ولهم فكرة أنه «لولا إسرائيل ولوبيها لكانت الولايات المتحدة صديقةً للفلسطينيين والعرب...» وذلك لتبرير استمرار علاقة تلك الأنظمة بواشنطن

٢ - إن سياسات واشنطن في الشرق الأوسط متناغمة مع سياساتها في بقية مناطق العالم. فمنذ بداية القرن العشرين، تدخلت الولايات المتحدة في ١٠٣ بلدان إما عن طريق الانقلابات العسكرية أو الاجتياح المباشر من أجل الهدف الإمبريالي نفسه، أي التحكم بموارد تلك البلدان أو في سياق الحرب الباردة. فهل كان غزو غواتيمالا عام ١٩٥٤ مثلاً، وهو الهادف إلى احتكار شركة أميركية لزراعة الموز في ذلك البلد، بتأثير من لوبي إسرائيل؟ والسؤال نفسه ينطبق على الانقلابات الأميركية ضد أنظمة وطنية - من اندونيسيا: سوكارنو إلى تشيلي اللندي. فلماذا تحتاج الولايات المتحدة مساعدة من لوبي إسرائيل عندما تُفعل الشيء نفسه في المنطقة العربية؟ وللذين يتوهمون أن الولايات المتحدة كانت ستساند قضية فلسطين لولا قوة لوبي إسرائيل، يتساءل مسعد. «متى، وفي أي سياق، دعمت الحكومة الأميركية قضايا التحرر الوطني في العالم؟»

٣ - يوافق مسعد القائلين بأن «سياسات الولايات المتحدة تجاه العالم العربي أكثرُ تطرفاً من سياساتها تجاه بقاع أخرى من العالم». لكنَّه يجادل بأن ذلك التطرف لا يتعارض والسياسة الأميركية العامة من حيث الجوهر، وأنه عائدٌ إلى مركزية دور إسرائيل في سياق السياسة الأميركية لا بالتناقض معها.

٤ - يُقر مسعد بقوة اللوبي، ولكنه يتساءل تساؤلاً العارف هل يُمكن للوبي إسرائيل أن يتمتَّع بهذا النفوذ لو كانت إسرائيل دولةً شيوعيةً مثلاً، أو لو عارضتُ مصالح الولايات المتحدة حول العالم؟

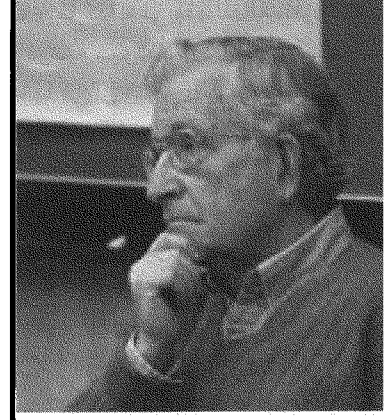
٥ - يتناول مسعد ادعاءً أنصار مقولة اللوبي أن دعم الولايات المتحدة المطلق لإسرائيل مكلف جداً لأنه يؤدُّ الكرة لأميركا، ويُنتج تغطيةً إعلامية سلبية لها، ويخسرُها حلفاء مهمين في المنطقة، ويحرمها فرص استثمار، ويضعف حلفاءها. فيقول إن الولايات المتحدة استطاعت أن تكون الداعم الأكبر لإسرائيل من دون أن تُخسر تحالفها الاستراتيجي مع الدكتاتوريات العربية. وأمَّا عن الاستثمار فإن الشركات الأميركية لها الوجود الأكبر في الأسواق العربية. وإعلامياً، يحتفي جيشٌ كاملٌ من الصحف العربية ومحطات التلفزة والفضائيات بالولايات المتحدة وثقافتها

٦ - وأخيراً، يعترض مسعد على اتهام أنصار فكرة اللوبي لإسرائيل «بأنها تكلف الولايات المتحدة أكثر مما تقدمه لها من خدمات»، فيعدهد الخدمات التي تؤدِّبها إسرائيل بفعالية عالية. من دورها في دعم جنوب أفريقيا العنصرية وتايوان، إلى تحويل السلاح إلى دكتاتوريات أميركا الوسطى في السبعينيات، والتدخل في دول عربية عدة مثل لبنان والعراق والسودان...

١ - سبق لمجلة الأذاب أن نُشِرَت لمسعد أبحاثاً خاصةً بالمجلة تُمكن مراجعتها ضمن العددَيْن ٦/٥ و ٨/٧ لعام ٢٠٠٢، والعدد ١٢/١١ لعام ٢٠٠٣ (الأذاب)



يتصدّر مقارعةً الدراسة كلُّ من نوم
تشومسكي وجوزيف مسعد.



ذلك يهدّد المصالح الأميركيّة، أمر الرئيس الأميركي بالانسحاب الإسرائيلي، وتدخّلت الولايات المتحدة لتُقطّف نتائج الاجتياح بتوقيع اتفاق ١٧ أيار بين لبنان وإسرائيل.

ج - دجف بلانكفورت. أمّا المؤيدون للدراسة والمدافعون عمّا جاء فيها فهُم كُثُر، ومن أبرزهم دجف بلانكفورت، وهو محرّر سابقٌ لنشرة العمل (مجلة تعنى بشؤون العمّال وحقوقهم) وناشطٌ مناصرٌ لفلسطين ومناهضٌ للحرب على العراق. كتب بلانكفورت مقالتيّن طويلتيّن ينتقد فيهما المعارضين الرئيسيين لدراسة ميرشائمر - والت: نوم تشومسكي وجوزيف مسعد المقالة الأولى بعنوان «تطويق الأضرار. نوم تشومسكي والصراع الإسرائيلي - الفلسطيني» نُشرت على موقع leftcurve.com ، وهي من ٢٤ صفحة ويورّخ فيها لنشاط تشومسكي على مدار ثلاثة عقود، مُظهرًا بعض التناقض في مواقف تشومسكي - كتأييده لفرض العقوبات الاقتصادية والمقاطعة على نظام جنوب إفريقيا العنصري ومعارضته لفرض العقوبات نفسها على إسرائيل! * ويذهب بلانكفورت إلى أنّ معارضة تشومسكي لما جاء في الدراسة تأتي في سياق سعيه إلى حماية إسرائيل من أذى المعارضة الحقيقية كالعقوبات الاقتصادية، ويتهمة بمحاولة إجهاد حركة مقاطعة إسرائيل أكاديميًّا واقتصاديًّا، وحصرٍ مناهضة إسرائيل في إجبارها على إنهاء الاحتلال لأراضي الـ ٦٧ الفلسطينية دون المساس بجوهر وجودها كدولة يهودية.^(١)

يقدم بلانكفورت مداخلًا متماسكةً ومنطقيّةً في رأيه، يتخلّلها نبشٌ لتاريخ تشومسكي الذي قضى فترةً من شبابه في كيبوتز إسرائيلي متأثرًا بمقولات الصهيونية المبكرة غير أنّ بلانكفورت، وإنّ نجح في وضع علامةٍ سؤالٍ حول نوايا تشومسكي من

ويختّم مسعد بالسؤال. «ما الذي كان سيتغيّر في سياسات الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط لو لم تكن إسرائيل قائمةً، بما في ذلك لوبيها القويّ؟» ويجيب باختصار: «التفاصيل والحدّة، لا الاتجاه أو المحتوى أو تأثير السياسات.»

ب - نوم تشومسكي. يتقاطع تشومسكي مع مسعد في اعتقاده أنّ اللوبي وإسرائيل هما اللذان يخدمان مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط لا العكس - وهي مصالح مطابقةٌ هنا لمصالحها في بقية أنحاء العالم وعن الضرر الذي يلحقه اللوبي بمصالح الولايات المتحدة يتساءل تشومسكي: «آية مصالح؟ شركات النفط؟» مشيرًا إلى أنّ شركات النفط الأميركية جنّت خلال العقود الستة الماضية أرباحًا تُفوق الخيال، وخصوصًا من بكرة الشرق الأوسط الطلوب. ويؤكّد تشومسكي أنّ تبنّي الولايات المتحدة لإسرائيل بدأ عندما خطّمت الحركة الوطنيّة العربيّة بزعامة عبد الناصر عام ١٩٦٧، وأثبتت تكهّنات الاستخبارات الأميركية منذ سنة ١٩٥٨ أنّ أفضل مواجهةٍ لحركات التحرّر الوطني العربيّة هو دعم إسرائيل كقاعدة أميركية يُعتمد عليها في المنطقة بالإضافة إلى تركيا - «التي دخلت في علاقة وثيقة مع إسرائيل في ذلك العام» - وهو التوقيت نفسه الذي انطلق فيه لوبي إسرائيل.

ويردّ تشومسكي على ادّعاء الدراسة بأنّ إسرائيل تتجسّس ضدّ الولايات المتحدة، وأنها حاولت بيع أسلحة للصين خلافًا لإرادة أميركا، فيذكر بأنّ هذه الأخيرة أمرت إسرائيل بوقف صفقة الأسلحة، فامتثلت كما يستحضر تشومسكي اجتياح إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢، فيقول: صحيح أنّ إدارة ريغان أيدت آنذاك تدمير منظمة التحرير لأنّه يخدم مصالحها، لكنّ عندما بلغت وحشيّة القصف الإسرائيلي لبيروت مداها وبدأ أنّ

* - تعليق رئيس تحرير الآداب. في دردشة جرّت بيني وبين المثقف الكبير تشومسكي في بيروت، أكد لي أنّه يؤيّد المقاطعة ضدّ إسرائيل وضدّ الشركات الداعمة لها، لكنّه ضدّ المقاطعة الأكاديمية لها (س |)

١ - تجدر الإشارة إلى وجود قطاع مهمّ من المناصرين لقضية فلسطين من اليساريين والليبراليين الأميركيين، وبينهم الكثير من اليهود، ممن يؤمنون بـ «إنقاذ إسرائيل من ورطتها عن طريق التخلّي عن الضفة وغزة - وهو ما سيضمّن في رأيهم «سلامة إسرائيل اليهودية الديمقراطية»

اعتراضه على دراسة «لوبي إسرائيل»، إلا أنه لم يُسهم كثيراً في مقارعة ما يقوله تشومسكي عن الدراسة نفسها (١)

أما مقالة بلانكفورت الثانية، المنشورة بتاريخ ٢٠٠٦/٤/١١ على موقع dissentvoice.org، فجاءت في ١٩ صفحة وتُحمل عنوان «نعم، اللوم على اللوبي» رداً على مسعود. وفيها يكرّر ما جاء في الدراسة نفسها من قبيل أن إسرائيل مُكفّلة أكثر من فائدتها لصالح أميركا. ثم يفند بلانكفورت رده على مسعود نقطةً نقطةً، لكنّه يقدّم الكثير من الأسئلة البلاغية والقليل من المقارعة لمقولات مسعود الجوهرية. وبعد أن يندش لانتقاد مسعود للدراسة لكون هذا الأخير تعرّض لحملة شعواء من قبل اللوبي، يتساءل: «آية اقتصاديات عربية تتحكّم فيها الولايات المتحدة؟ ما هي في نظر مسعود إستراتيجية الولايات المتحدة العامة في الشرق الأوسط؟ ألا يسبّب دعم الولايات المتحدة لإسرائيل استهدافها بهجمات إرهابية؟ في أيّ عالم يعيش مسعود؟»

ويوافق بلانكفورت مسعوداً في أن سياسات الولايات المتحدة إمبريالية وعدائية لتحرّر الشعوب بغض النظر عن نشاط لوبي إسرائيل، غير أنه يضيف أن اللوبي «يساهم في دفع أجنحة الولايات المتحدة، قُدماً». ويقول إن مؤلّفِي الدراسة لا يبرّئان الولايات المتحدة لكنّه يزيد أنه من دون اللوبي كان بإمكان بلاده أن تنفّذ سياساتها من دون المشاكل التي يولّدها دعمها لإسرائيل. ويؤكّد أن دعم الولايات المتحدة لإسرائيل ذو انعكاسات سلبية «على المنطقة وعلى علاقات الولايات المتحدة معها.»

تُكمن قوة مقارعة بلانكفورت هنا في سرده للتعارضات الكثيرة بين إسرائيل ولوبيها من جهة، وبين الإدارات الأميركية المختلفة على مدى أكثر من ثلاثة عقود من جهة ثانية: من إدارة فورد وحتى الإدارة الحالية. وقد ورد ذكر معظم هذه التعارضات في دراسة مارشامير - والت نفسها، وأكثرها يدور حول سياسة إسرائيل الإستيطانية في الضفة وغزة.

د - نورمان فنكستين (٢) من بين الردود على الدراسة تبرز مقالة من صفحتين فقط لنورمان فنكستين، نُشرت على موقعه الإلكتروني الذي يحلّل الاسم نفسه.

تتميّز مقالة فنكستين بأنها لا تنتمي إلى المؤيدين ولا إلى المعارضين. وتختصر هذا التمايز في عنوانها ذاته: «اللوبي:

المسألة ليست إما كذا وإما كذا.» في هذه المقالة يتفق الكاتب مع بعض ما جاء في دراسة ميرشامير - والت، ويختلف مع الكثير منه. فهو يوافقها في أن اللوبي يقرّر سياسة الولايات المتحدة في ما يخصّ الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي حصراً، بمعنى أن الولايات المتحدة تفضّل إنهاء مشكلة احتلال إسرائيل للضفة وغزة إذ لا مصلحة إستراتيجية تُذكر لها في هذه البقعة... بينما تفضّل إسرائيل الاحتفاظ بها لأسباب إيدولوجية ونفسية أكثر من أيّ أمر آخر. ولكن فنكستين يختلف مع بقية استنتاجات الدراسة، ولاسيما القول بأن إسرائيل تتحكّم بسياسات الولايات المتحدة تجاه سائر قضايا الشرق الأوسط الأخرى. ويبرّر الدعم الأميركي لإسرائيل بأن الأخيرة أثبتت جدارتها لتكون حليفاً إستراتيجياً عندما هزمت مصر وسوريا في ١٩٦٧. ويختتم بالقول «إن الولايات المتحدة سوف تُصدر الأمر لإسرائيل بالانسحاب من الضفة وغزة حين يتلّغ ضرر الاحتلال الحدّ الذي لا تتحمّله مصالح أميركا في المنطقة، وإن إسرائيل سوف تنفّذ ذلك الأمر!»

والسؤال هو. «متى نبلّغ ذلك الحد؟»

ويُصح فنكستين بالتركيز على قضية توسيع دائرة الحوار والنقاش العام حول الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني وكيفية الوصول إلى حلّ. وهذا هو ما يحاول اللوبي جاهداً إبقائه مغلقاً لإدراكه أن لا مصلحة للنخبة الأميركية الحاكمة في إبقائه مستعراً.

خاتمة

وأخيراً، لا يسعنا إلا أن نشدّد على أهمية الانخراط في العمل النشاطي على الساحة الأميركية لمناصرة قضايانا العربية، وعلى إمكانية التأثير في صناعة الرأي العام الأميركي والقرار السياسي الرسمي بالرغم من التحديات الظاهرة التي تواجه الجالية العربية الأميركية ومنظماتها الفاعلة (٣). ولنا في نجاح تجربة حركة مناهضة النظام العنصري في جنوب أفريقيا خير دليل على أن التسلّح بإيماننا بعدالة قضايانا، والعمل الدؤوب على بناء التحالفات المبدئية مع قطاعات واسعة من المجتمع الأميركي، يشكّلان عاملين أساسيين من أجل الوصول إلى حقوقنا مهما بلغت الصعوبات.

صيدا (جنوب لبنان)

١ - بالمناسبة، يتقاطع جيمس بيتراس، المناهض للحرب هو أيضاً، مع بلانكفورت حول التشكيك بدوافع تشومسكي وتناقضاته في ما يختصّ بانتقاداته

إسرائيل وللدراسة المذكورة. (راجع مقاله المنشورة على موقع axisoflogic.com بتاريخ ٢٠٠٦/٤/٣)

٢ - قُدّمتها مجلة الآداب عام ١٩٩٨ إلى القارئ العربي، ونُشرت له مقالات وأبحاثاً في الأعداد التالية: (٦/٥ - ١٩٩٩)، (١٢/١١ - ١٩٩٩)، (٤/٣ -

٢٠٠١)، (١٠/٩ - ٢٠٠١)، (٢/١ - ٢٠٠٢): (١٠/٩ - ٢٠٠٢). كما ترجم رئيس التحرير وأمين حنا حداد كتابه الشهير. صناعة الهولوكوست

الذي صدر عن دار الآداب عام ٢٠٠١. (الآداب)

٣ - سنتناول موضوع اللوبي العربي - الأميركي في مقالات لاحقة.